إطلاق "الباص إن حكى... رحلات في ذاكرة اللبنانيين" تعزيز السلم الأهلي وإحياء الذاكرة لطيّ صفحة الحرب

تدشين الباص الجديد لإحياء الذاكرة الجماعية. (ابرهيم الطويل)

خلال الحفل.

هنادي الديري

لا بد للحرب، او تلك الخدعة التي "ضبطت" مذابحها بالتوقيت الذاتي، من ان تنتهي، يوماً ما. ولا بد للذاكرة الجماعية من ان تسرد تاريخها وتطرد شياطينها، مستذكرة مشاهد دامية اعتبرتها وغيرها من الذين ألقوا نظرة خاطفة عليها، شديدة البشاعة.

هل افضل من نقيض باص عين الرمانة الذي أطلق شرارة الحرب قبل 37 سنة، وهو "الباص إن حكى" الجديد، لرواية حوادث الحرب الاهلية واستعادتها؟ في رعاية رئيس مجلس الوزراء نجيب ميقاتي، نظّم امس برنامج الامم المتحدة الانمائي - "مشروع تعزيز السلم الاهلي في لبنان" و"أمم للتوثيق والابحاث"، بالشركة مع بعثة الاتحاد الاوروبي في لبنان، حفل اطلاق مشروع "الباص ان حكى... رحلات في ذاكرة لبنان واللبنانيين"، في "هنغار أمم" - حارة حريك. شارك في الحفل، وزير الخارجية والمغتربين، عدنان منصور ممثلاً ميقاتي، والممثل المقيم لبرنامج الامم المتحدة الانمائي روبرت واتكنز، وممثلي الاتحاد الاوروبي، دياغو اسكالونا باتوريل، وممثل "أمم" لقمان سليم، ورؤساء اللجان النيابية وممثلون عن الوزارات والسفارات والجامعات والمجتمع المدني. وفي الكرّاس الذي وزعه برنامج الامم المتحدة "ادراكاً منها لاهمية مسألة سرد تاريخ لبنان، لا سيما في ما يتعلق بصوغ تصورات اللبنانيين عن الحرب الاهلية، وفهم "الآخر" وبناء السلام، أطلق البرنامج مقاربة مبتكرة غير رسمية لسرد تاريخ لبنان وتعزيز الشعور بذاكرة جماعية مشتركة". وفي هذا الاطار، "أطلقت أمم للتوثيق والأبحاث حملة توعية وطنية على مستوى البلاد لتوفير فهم أفضل عن سرد تاريخ الحرب الأهلية". وسيتم ذلك، "من خلال حافلة متنقلة مرتبطة بمركز أرشيف أمم في ضاحية بيروت الجنوبية ومزودة بمكتبة سمعية وبصرية ووثائق عن تاريخ لبنان والحرب الاهلية". وستقوم الحافلة "بجولة في مختلف المناطق في لبنان لتنظيم نشاطات عامة عن هذه المسألة".

لا بد للحرب من ان تنتهي، يوماً ما، وأن تُعلن الذاكرة نهائياً وعلى نحو حاسم، انها ملّت من "الكبار" الذين يحلمون بحروب يُرسلون اليها الشباب، ليستشهدوا، وملّت أيضاً من مشاهدة الآباء وهم يدفنون أبناءهم، وهي تعرف سلفاً من أن الأموات وحدهم عرفوا نهاية الحرب. وعلى قول القيّمين على "أمم"، "الباص عبارة عن وحدة ستجول في مختلف المناطق اللبنانية وتضم أرشيف أمم عن الحرب الأهلية عن يوميات وحوادث ورصد للضحايا والمفقودين والمرتكبين والمشاركين والفاعلين". وكان هذا الباص، "حافلة تعمل على خط صيدا - بيروت اشترتها أمم وجهّزتها بعتاد توثيقي هو كناية عن مكتبة رمزية وأجهزة كومبيوتر محمولة موصولة بأرشيف أمم، بالإضافة الى ماسح ضوئي وأدوات تسجيل سمعية وبصرية". كما تم وضع "جدول بنشاطات للأولاد والشباب والراشدين، تتناسب مع طبيعة المحطات التي سيزورها الباص".

وفي كلمته، قال واتكنز: "يُقال أن الوقت يمحي كل الجراح، ولكن هذا لا يأتي من نسيان الماضي ببساطة مهما نوينا. عوضاً عن ذلك، فإن المضي قدماً يأتي من فهم الماضي، وطرح اسئلة مؤلمة وتقبل الاجوبة الصعبة، والعمل معا على كتابة مستقبل جديد. يساعد الوقت في جعل هذه العملية ممكنة، ولكن الوقت وحده ليس كافياً". اضاف، "لهذا السبب حولت "أمم" مكتبها الى مركز توثيق عن الحرب الاهلية لتقديم قاعدة للبنانيين لحوار مفتوح عن تاريخهم المشترك. الهدف ليس الغاء الابعاد المختلفة للموضوع، ولكن جمع مسارات بناء الذاكرة الجماعية والمصالحة وتقويتها من اجل تخفيف الخلافات وتشييد الثقة". وعبر هذه المبادرة التي انطلقت أمس، "تخرج امم الحوار الى الطريق وتغير بطريقة رمزية الفكرة التي يتمحور حولها الباص القديم المركون في الخارج وتحولها الى وجهة نظر ايجابية يجسدها الباص الجديد".

واكد ان الباص الجديد "سيجول لبنان مزودا بأرشيف تاريخ لبنان والحرب الاهلية، وسيقدم لهذه المجتمعات فرصة التفكير في تجربتهم وتجارب غيرهم في الحرب في اطار حوار منظم. وفي هذه الطريقة أعتقد انه يستطيع ان يساهم في تعزيز السلم الاهلي". وختم قائلا: "ستدعم هذه المبادرة ايضا سياسة الحكومة في دمج التربية المدنية في المناهج المدرسية وذلك في محاولة لتعزيز التسامح والتفاهم المتبادل، داعمين بشدة استراتيجية الحكومة هذه".

اما دييغو اسكالونا باتوريل، فقال: "يسرني ان اكون معكم اليوم لأشهد على جهود المجتمع اللبناني للمصالحة مع ماضيه. ولا يمكنني انا الآتي من اسبانيا حيث ما زالت النقاشات تدور حول الحرب الاهلية بعد اكثر من 70 عاما على انتهائها، الا ان اؤكد اهمية تعامل اي مجتمع ممزق بفعل النزاع مع ماضيه من اجل بناء سلام مستدام".

اضاف، "اننا نؤمن بأن القيمة الرمزية الكبيرة للباص الجديد تشكل رسالة قوية نريد ان ننقلها بصورة مشتركة الى المجتمع اللبناني: تماما كما يمثل باص عين الرمانة - الذي تمت مهاجمته قبل 37 عاما بالتمام والكمال، والمعروض هنا في الهنغار - في ذاكرة اللبنانيين رمزا للحرب والانقسام، نأمل في ان يكون الباص الجديد الذي سيبدأ رحلته الرمزية في كل انحاء البلاد قادرا على تعزيز التفكير اكثر فاكثر في ماضي لبنان والحاجة الى المصالحة". وفي كلمته، قال لقمان سليم، "... لا يكاد باص يمضي في حال سبيله، او يبدو كأنه خرج من المشهد، حتى يسارع باص آخر الى ملء الفراغ، ومن ناقل القول ان الباص كناية لبنانية لا تعي وسيلة لتترجم نفسها ولتعود باللبنانيين الى المربع الاول من مربعات الخوف والقلق". اضاف، "على ان هذا الشعور في ان لبنان منذ نهاية الحرب يعيش سلما ناقصا ليس بالامر المستحد، وان كان قد تفاقم في الاعوام الاخيرة. بل يمكن القول انه شعور شغل العديد من اللبنانيين ومن غير اللبنانيين حتى خلال السنوات التي انخفض فيها منسوب القلق الى ادنى الحدود ولعل اوجز التعبير عن هذا الشاغل هو السؤال التالي: هل انجز اللبنانيون حقا معاملات الطلاق البائن بينهم وبين منطق الحرب، اي بينهم وبين التوسل بالعنف لتصفية خلافاتهم السياسية وتصفيرها؟". وكانت بعدها زيارة باص عين الرمانة القائم خارج الهنغار، وبعدها كشف عن الباص الجديد الذي سيعيد احياء الذاكرة الجماعية في محاولة نهائية لطي صفحة الماضي الدامية.

hanadi.dairi@annahar.com.lb